وسيلة إقامة الحجة

(دراسة دعوية لأبرز مظاهرها وآثارها

في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأعلامها)

إعـــداد

د. غازي بن سعد المغلوث

عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . الأحساء

ملخص البحث:

تُعتبر وسيلة الحجة من أكثر الوسائل التي استخدمها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله) في نشر دعوته الإصلاحية، ومن بعده أبناؤه وأحفاده وتلاميذه، فمن اطلع على سيرة الشيخ ورسائله وكتبه ومكاتباته وجهاده يلحظ هذا الاهتمام الشديد بإقامة الحجة على المخالف؛ بل وصل الحال إلى أن يقيم الحجة على مخالفيه من نصوص كتبهم وأقوال أئمتهم. وتأسيساً على ذلك فإن وسيلة الحجة أخذت صوراً وأشكالاً عدة في دعوة الشيخ فتارة تظهر باتصاله المباشر مع المخالفين، وأخرى تظهر في رسائله إلى الأمراء ومشائخ القبائل والعلماء، وتارة تظهر في كتبه، وحيناً تظهر في مناظرات تلاميذ الشيخ مع المناوئين لدعوته . كما أرخت وسيلة الحجة بظلالها على الداعية حيث جعلت رؤيته للحق واضحة، واستعداده للتضحية والبذل في سبيلها، وقدرته على تفنيد شبهات الخصوم وإلزامهم بما عندهم. كذلك ولقد أثرت وسيلة الحجة على المدعو من خلال بيان الحق له بدليله؛ فيكون أدعى لاستجابته، وأثرت على الدعوة بشكل عام حيث أعادة صياغة الوعي لدى المدعوين، وشكلت قناعاتهم وسلوكهم. ولا يصعب القول أن وسيلة الحجة يمكن الإفادة منهت في العصر الحاضر في المناظرات، والمؤتمرات الدولية، ووسائل التقنية الحديثة التي فتحت مساحات واسعة للتواصل مع المخالفين.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدهُ، ورسولهُ صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن وسيلة الحجة في الدعوة إلى الله تعالى من أنجع الوسائل الدعوية نفعاً، وأعظمها أثراً في ميدان تبليغ رسالة الإسلام؛ لذا وظفها جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه في دعوتهم لأقوامهم، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[1]، ومن بعدهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، ومن سلك سبيلهم كالإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى - حيث ظهر في عصرٍ غلب على أهله الشرك والبدعة من صرف العبادة لغير الله للقبور والأضرحة، والاعتقاد في الأولياء، والتبرك بالأحجار والأشجار، واتخاذ الوسائط والشفعاء، فصدع بدعوة التوحيد، ودعا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكانت وسيلة الحجة من أعظم وسائله في تبيين الحق، وفضح الباطل، واستمالة الناس إلى التوحيد، والمفاصلة مع أصحاب البدع والخرافات؛ لذا فإن الدراسة المزمعة ستسلط الضوء على هذه الوسيلة في دعوة الإمام المجدد من حيث مفهومها، ومشروعيتها، وعلاقتها بالوسائل الدعوية الأخرى، ومن حيث ظاهرها كالمشافهة والاتصال المباشر،

(١) سورة النساء، آية: ١٦٥.

والرسائل، والمناظرة، وتأليف الكتب، وآثارها الجليلة على الداعية والمدعو والدعوة، وأوجه الاستفادة في العصر الحاضر.

أهمية الموضوع:

تُعتبر وسيلة الحجة من أكثر الوسائل التي وظفها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى- في نشر دعوته المباركة في أنحاء نجد والجزيرة العربية، فالناظر في سيرته، ورسائله، وكتبه، وجهاده، واتصاله بالمدعوين، واحتسابه على أهل الشرك والبدع والخرافات، وسجاله مع معاصريه من العلماء والزعماء، ومنهجه في التعامل مع خصومه ومناوئيه؛ يجد أن وسيلة الحجة أو إقامة الحجة على المدعوين هي الوسيلة المحورية التي استخدمها الشيخ في استمالة المدعوين أو المفاصلة مع المخالفين .

وتأسيساً على ذلك، فإن توسع الدعوة الإصلاحية من خلال الدولة السعودية الأولى في أنحاء نجد والجزيرة العربية ارتبط ارتباطاً مباشراً بوسيلة الحجة من خلال الرسائل والكتب والمناظرة والمشافهة ونحو ذلك من وسائل إقامة الحجة على المدعوين .

وعلى هذا، لا يصعب القول بأن وسيلة الحجة كان لها دورٌ محوريٌ وحاسمٌ على دعوة الشيخ حيث أدت إلى انتشارها بوصفها من أوائل الدعوات الإصلاحية حينذاك، ومن جهة أخرى لعبت دوراً مهماً في شخصية الداعية بما زودته من رؤية واضحة للحق مستندة للكتاب والسنة وفهم سلف الأمة .

كما أرخت بظلالها على المدعو، حيث بينت له التوحيد الظاهر البين في النصوص الشرعية وأقوال العلماء المعتبرين؛ فإما أن يقبله ويستجيب له، وإما أن يرفضه ويعاديه، ومن ثم يظهر موقفه من الدعوة.

وأياً كان الأمر، فإن وسيلة الحجة من الوسائل التي يمكن الاستفادة منها في

العصر الحاضر من حيث تبيين الحق للمخالف من خلال وسائل التقنية المعاصرة، ومعرفة موقفه منه، ومن ثم معرفة الموقف الشرعي منه.

أسباب الاختيار:

هناك أسباب كثيرة دعت الباحث لاختيار موضوع وسيلة الحجة وتجلياتها في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)، منها:

أولاً: أن وسيلة الحجة في دعوة الشيخ اقترنت برؤيته البعيدة لمستقبل الجزيرة العربية، فاستخدامها مع المدعوين كان سبيلاً لإقامة الدولة السعودية الأولى المباركة.

ثانياً: أن توظيف وسيلة الحجة في دعوة الشيخ؛ كشف حقيقة المعاندين والمخالفين؛ ومن جهة أخرى الموافقين والمؤيدين.

ثالثاً: أن إقامة الحجة على المخالف، ومن ثم استجابته سواءً كانت سلبية أم إيجابية، تبين الموقف الشرعي منه.

رابعاً: أن تمسك الداعية بهذه الوسيلة؛ يجعل رؤيته للحق واضحة، ويأوي إلى ركن شديد في التعامل مع المخالفين من أهل الشهوات والشبهات.

الدراسات السابقة:

هناك كتابات ودراسات تناولت وسيلة الحجة في القرآن الكريم والسنة النبوية، لكن لا توجد دراسات متخصصة عن وسيلة الحجة في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - ويأتي كتاب: « هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان»[1] من الدراسات التي تناولت وسيلة الحجة في القرآن الكريم، حيث أوضحت

(١) سراج الدين، عبدالله، مكتبة: دار الفلاح، سوريا، حلب.

بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا الدين العظيم قائمٌ على الحجج والبراهين؛ لذا جاء مخاطباً العقلاء، وجاء لهم بالبرهان والنور، ويتحدى كل من تحدث بالمعاندة والمعارضة، وسمى الله تعالى القرآن الكريم فرقاناً وهدى، ودعا الناس إلى التفكر فيما جاء به. وقد سرد الباحث الكثير من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وخوارق العادات والمعجزات وكونه محفوظاً من عند الله عز وجل إلى قيام الساعة، وأن خطابه موجه للعقلاء على الخصوص[1].

وفي ذات السياق جاءت دراسة بحثية عن وسيلة الحجة بعنوان: البنية الحجاجية للخطاب القرآني[2]، تتناول الفرق بين الخطاب الطبيعي والخطاب القرآني من حيث أن الأول لا يملك البرهنة والاستدلال المنطقي في بنيته، بينما الثاني يميل إلى البراهين والأدلة والاستنتاج المنطقي.

وهناك دراسة بحثية بعنوان: الحجة في الاستعمال القرآني (إبراهيم وقومه نموذجاً)[3] يستعرض الباحث طرائق استعمال الحجة في القرآن الكريم، وينطلق من قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه كنموذجٍ لهذا الاستعمال بأنواعها الثلاثة: القياس، الاستقراء، التمثيل[4].

ويمكن القول إن دراسة بحثية معنونة بـ: (قوة الحجة ووضوحها: من مظاهر البلاغة القرآنية) [5]،تناول فيها الباحث أنواع الحجج القرآنية في معرض السجال مع

(١) انظر: سراج الدين، عبد الله، هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان، ص (٩٧-٢١).

(٢) العزاوي، أبو بكر، مجلة المشكاة، عدد:١٩، ١٤١٩/١٤١٥هـ، وجدة، المغرب.

(٣) انظر: حمادي، إدريس، مجلة فكر ونقد، السنة الثالثة، العدد: ٢٨ ،أبريل ٢٠٠٠م.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص:١٤٢.

(٥) انظر: العماري، د. علي محمد، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة:١٣، العدد:٥١، ٥٠، ١٤٠١هـ.

المخالفين والمعاندين كزعمهم بأنه سبحانه وتعالى له ولد كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ ﴾[1]، فجاء الرد بالحجة في قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ ﴾[2]، ثم بيّن سبحانه في آية أخرى مصدر العلم الصحيح، بأن نفاه عنهم في أوجز عبارة، وأقوى حجة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ ﴾[3]، هكذا في إيجاز وحسم حيث أتى بها في صيغة استفهام إنكاري وتوبيخي وبهذا قامت عليهم الحجة[4].

ويمكن القول بأن دراسة (أسلوب الحجة في القرآن الكريم) من أهم الدراسات التي أظهرت بشكل جلي وواضح سياقات الحجة في القرآن الكريم، وبينت الغرض منها، ومظاهرها وآثارها[5].

منهج الباحث:

هناك منهجان سوف يسير عليهما الباحث في هذه الدراسة، كما يأتي:

أولاً: المنهج التاريخي:

حيث سيقوم الباحث بربط كل ما يتعلق بوسيلة الحجة من مظاهر وآثار بالأحداث التاريخية ومن ثم استرجاع ما يتعلق بوسيلة الحجة وتجلياتها في سياق دعوة الشيخ من خلال مراحلها المختلفة.

---

(١) سورة مريم، آية:٨٨.

(٢) سورة الأنعام،آية١٠١.

(٣) سورة الزخرف، آية: ١٩.

(٤) انظر: من مظاهر البلاغة القرآنية: قوة الحجة ووضوحها، ص ٣٢.

(٥) انظر: الوادعي، علي، أسلوب الحجة في القرآن الكريم، تحقيق: د. حمد بن ناصر العمار، ص٤-٥، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ثانياً: المنهج التحليلي:

وفيه سيعمد الباحث إلى تتبع منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) مع المدعوين من المصادر ثم سيتناوله بالوصف والتحليل للكشف عن مظاهر وسيلة الحجة وآثارها في دعوته .

تقسيمات الدراسة :

وتشتمل على عدة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم وسيلة الحجة، ومشروعيتها، وأهميتها، وعلاقتها بالوسائل الأخرى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم وسيلة الحجة.

المطلب الثاني: مشروعية الحجة وأهميتها.

المطلب الثالث: علاقة وسيلة الحجة بوسائل الدعوة الأخرى.

المبحث الثاني: التعريف بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) ودعوته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة الدينية والسياسية والاجتماعية في عصره.

المطلب الثاني: التعريف بشخصية الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله).

المطلب الثالث: التعريف بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله).

المبحث الثالث: مظاهر الحجة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المشافهة والاتصال المباشر.

المطلب الثاني: الرسائل.

المطلب الثالث: المناظرة.

المطلب الرابع: تأليف الكتب.

المبحث الرابع: آثار الحجة وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آثارها على الدعوة.

المطلب الثاني: آثارها على المدعو.

المطلب الثالث: آثارها على الداعية.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول
مفهوم وسيلة الحجة، ومشروعيتها، وأهميتها، وعلاقتها بالوسائل الدعوية الأخرى

الوسيلة في اللغة:

ما يتقرّب به إلى الشيء[١].

والوسيلة: الوصلة والقربة التي ينبغي أن يطلب بها[٢].

وتطلق الوسيلة في اللغة، ويراد بها معنيان:

١-الوصلة والقربة[٣].

٢-المنزلة والدرجة عند الملك.

الوسيلة في الاصطلاح:

ما يستعين به الداعي على تبليغ دعوته إلى الله تعالى على نحو نافع ومثمر[٤].

وقيل: هي ما يتوصل به إلى الدعوة.

الحجة في اللغة:

هي الدليل والبرهان، وما دُوفع به الخصم، و يقال: حجه يحجه حجاً: غلبه على

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤٨٣٧/٦، دار المعارف، مصر، القاهرة.

(٢) انظر: القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ١٥٦/٥، ط: ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) انظر: زيدان، د. عبدالكريم، أصول الدعوة، ص٤٩، ط:١٤١٢هـ، دار الوفاء، عمان، الأردن.

(٤) انظر: البيانوني، د. محمد أبو الفتح، المدخل إلى علم الدعوة، ص٤٩، ط (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.

حجته، والتحاج: التخاصم[1]، واحتج بالشيء: اتخذه حجه، وسُميت حُجة لأنها تُحج أي تُقصد لأن القصد لها وإليها، وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك[2]، وجمع حجة: حُججٌ وحجاجٌ[3].

الحجة في الاصطلاح:

ما دلَ به على صحة الدعوى. وقيل: الحجة والدليل واحد[4].

مشروعية الحجة وأهميتها:

تُعتبر وسيلة الحجة من أهم الوسائل التي استعملها الأنبياء والرسل في دعواتهم، لأن تغيير العقائد ليس أمراً سهلاً؛ لذلك أعطى الله رسله البيان، وأرسلهم بلغة أقوامهم، ومنحهم القدرة على المخاصمة؛ لكي يدحضوا حجة المعارض لدعوتهم، ويقنعوا السائل بها.

ذلك أن المعارضين دائماً يقفون ضد التغيير الشرعي الذي يشمل الحياة كلها، ومن ثم يظهر سر قوة المخاصمة، وشدة العناد، وإذا ما علم الداعية أنه أمام موقف صلب من الناس لزمه أن يستعد له بقوة عقلية ونفسية، وأن يخوض طريقه الصعب صابراً متحملاً إقامة الحجة على المعاندين. وقد عرض القرآن الكريم لهذه الوسيلة المهمة في محاورة الأنبياء لأقوامهم كما فعل سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع النمرود إثباتاً للألولهية، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١: ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، ٢/٧٧٩.

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني، ص:٨٦، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، ط:١٩٩٠م.

(٤) انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص:١١٨، دار المشرق، لبنان، بيروت، ط:١٩٩٢م.

فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[1].

قال الإمام ابن كثير[2] (رحمه الله): فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام، بُهت، أي أُخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة[3].

فهذا حجاج حول إثبات الألوهية بأدلتها، تراها أدلة مفحمة ملزمة من أقرب الطرق، وقد ترك سيدنا إبراهيم دليل الإحياء والإماتة حينما أوجد النمرود شبهة شكلية عليه، وانتقل إلى دليل لا شبهة فيه عند النمرود وهو مطلع الشمس من مغربها، وهنا بهت النمرود ولم يحر جواباً[4].

وقد عرض القرآن الكريم للنبي محمد ﷺ في توظيفه لوسيلة الحجة مع قومه، كما في قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[5].

فترى الآية تتضمن حجاجاً يسلم بمظنوناتهم، ثم بالمحاججة يظهر بطلان رأيهم، وأنه ليس مع الله إله آخر، ولو سلمنا جدلاً بوجود آلهة أخرى كادعائهم الكاذب فإننا

---

(١) سورة البقرة: آية: ٢٥٨.

(٢) أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن عمرو بن كثير بن درع القرشي البصروي الدمشقي، حافظ مؤرخ، تناقل الناس تصانيفه في حياته، وتوفي بدمشق سنة (٧٧٤هـ). انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ٣٧٣/١، بيروت، لبنان، دار الجيل.

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ٤٦٩/١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.

(٤) انظر: غلوش، د. أحمد أحمد، الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)، ص٣٨٥، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٥) سورة الأنبياء: ٢٢.

لابد وأن نرى أن النتيجة فساد السماء والأرض، واستقلال كل إله بما خلق، ولحدث الشجار والتعالي بين الإلهين[1].

(١) انظر: غلوش، د. أحمد، الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)، ص٣٨٧.

المطلب الثالث

علاقة وسيلة الحجة بوسائل الدعوة الأخرى: الجدل، النصيحة

١- الجدال:

الجدال في اللغة:

يقال: جادله مجادلة وجدالاً، ناقشه وخاصمه، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وهو شدة الخصومة، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المخاصمة[١].

المجادلة في الاصطلاح:

عرفها العلماء تعريفات متشابهة، منها قولهم:

عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة[٢].

وقيل: مراءٌ يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها[٣].

وقيل: مقابلة الأدلة لظهور أرجحها[٤].

وقد تكون المجادلة بالحسنى، وقد تكون بالباطل، قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾[٦].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة جدل، ١٠٥/١١.

(٢) انظر: الكليات، الكفوي، أبو البقاء، محمد بن أيوب الحسيني، تحقيق: عدنان درويش، ص٤٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩-١٩٩٨م.

(٣) انظر: الجرجاني، التعريفات، ص٧٩، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط:١٩٩٠م.

(٤) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، ص:١٢٨، المكتبة العلمية، بيروت.

(٥) سورة النحل، آية: ٢٥.

(٦) سورة غافر، آية: ٥.

ومن هنا قسم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم، وذلك بحسب الغاية منه، وبحسب أسلوبه، وبحسب ما يؤدي إليه.

وعلى هذا يمكن القول إن الجدل قد يكون ممدوحاً إن كان هدفه إحقاق الحق ونصرته، وإن كان لا يهدف إلى ذلك؛ فيكون من نوع الجدل المذموم[1].

٢-النصيحة:

النصيحة في اللغة:

يقال: نصحه، ونَصح له يَنصح بالفتح فيهما نُصحاً بالضم، ونَصاحة بالفتحة، والاسم نصيحة، والنصيح هو الناصح، وقوم نصحاء بوزن فقهاء، والفاعل ناصح، والجمع نصحاء.

والنصح: تحرّي قول أو فعل فيه صلاح صاحبه[2].

النصيحة في الاصطلاح:

قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً[3].

وقيل: حيازة الحظ للمنصوح له[4].

وخلاصة هذه التعاريف: أن يخلص الإنسان نيته في قوله وفعله إذا أراد أن ينصح أخاه المسلم، فلا يقصد بذلك أي غرض من أغراض الدنيا، أو الانتصار للنفس، أو

(١) انظر: البيانوني، محمد أبوالفتح، المدخل إلى علم الدعوة، ص٢٦٤.

(٢) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص٦٢٢، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، ط: ١٩٨٦م.

(٣) انظر: العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١/١٥٠-١٥١، دار الريان للتراث، القاهرة.

(٤) انظر: الحنبلي، ابن رجب، جامع العلوم والحكم، تحقيق د. وهبة الزحيلي١/١٣٨، دار الخير، بيروت.

الانتقاص للمنصوح، وأن يبذل جهده في النصح بأن يتحرى أحسن أسلوب لديه.

العلاقة بين وسيلة الحجة ووسيلتي الجدل والنصيحة:

ليس من شك أن ثمة علاقة بين وسيلتي الجدل وإقامة الحجة من حيث إنهما يعرضان الحق على المخالف إلا أن وسيلة الجدل لا تستلزم الدليل، فقد يجادل المرء بدون أدلة تثبت صحة دعواه لمجرد الجدال، بينما وسيلة الحجة تستلزم الأدلة الشرعية والعقلية التي تثبت صحة الدعوى على المخالف.

أما النصيحة فلئن كانت تتشابه مع وسيلة الحجة بشأن عرض الحق على المخالف، وإرادة الخير له نية وقولاً وفعلاً إلا أنها تختلف عنها في قضية الإلزام بقبول المخالف الحق بأدلته أو رفضه تماماً، فوسيلة الحجة تبين موقف المخالف إما موافقة للحق أو ضده[1].

وبهذا إذا ظهرت وسيلة الحجة لزم الأخذ بها، وترك ما دونها لأنها هي الأصل في إظهار الحق.

(١) انظر: العمار، د.حمد ناصر، حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أركانه ومجالاته)، ص: ١٨، دار إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الرياض.

المبحث الثاني
التعـريف بالشيخ
محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله) ودعوته
المطلب الأول
التعريف بشخصية
الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله)

أولاً: نسبه:

ينتمي الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله) إلى أسرة تُدعى (آل مشرف) وهي فرع من (الوهبة) أحد بيوت بني تميم المشهورة[١].

وهو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف الوهبي التميمي[٢].

ثانياً: أسرته:

يتحدر الشيخ من أسرة علمية، فجده سليمان بن علي[٣] عالم نجد في زمانه، ومن

(١) انظر: الحقيل، د. سليمان بن عبدالرحمن، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحقيقة دعوته، ص:٢٥، مطابع الفرزدق التجارية، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢) انظر: المطوع، عبدالله بن محمد، الدعوة الإصلاحية وأعلامها، ص٨٣، ط١٤٢٨:٦هـ،دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) هو سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد من آل مشرف، فقيه زمانه، متبحر في علوم المذاهب، وانتهت إليه الرياسة في العلم في نجد. انظر: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: د. محمد بن ناصر الشثري، ٤٠/١، دار الحبيب، المملكة العربية السعودية، الرياض.

أشهر علماء عصره في نجد والجزيرة العربية، ويُعتبر كتابه (مناسك الحج) مرجعاً للعلماء في عصره.

أما عمه إبراهيم[1] فقد اشتغل بالعلم والتدريس، ووالده عبد الوهاب[2] ولي قضاء العيينة ثم حريملاء، وأخو الشيخ سليمان بن عبدالوهاب[3] كان قاضياً لحريملاء خلفاً لوالده[4].

ثالثاً: مولد الشيخ ونشأته:

ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في العيينة سنة ١١١٥هـ، وكان منذ نعومة أظفاره بارزاً في الذكاء، وقوة الحفظ، ويدل على ذلك حفظه للقرآن الكريم ولم يبلغ العاشرة من العمر، وقدمه والده للإمامة مع صغر سنه لما يرى فيه من الكفاية والقدرة[5].

رابعاً: صفاته:

كان الشيخ رحمه الله حاد الفهم، سريع الخاطر، وقاد الذهن، ألمعي الفطنة،

---

(١) إبراهيم بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد، كان عالماً فقيهاً، متبحراً في العلوم، وكان له ابن اسمه عبدالرحمن، اتخذه كاتباً له، وله معرفة في الفقه. انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ص: ١٩٩.

(٢) هو عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد، كان فقيهاً مبرزاً، وقاضياً في بلدة العيينة ثم في حريملاء في أوائل القرن الثاني عشر. انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ص ١٩٩.

(٣) هو سليمان بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد، له معرفة بالفقه والقضاء، وولي قضاء حريملاء، وكان له أولاد فماتوا، وانقطع نسله. انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ص١٩٩.

(٤) انظر: الحقيل، سليمان، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحقيقة دعوته، ص: ٢٥-٢٦.

(٥) انظر: المطوع، عبدالله بن محمد، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد، ص: ٥٨.

تميز بقوة الإقناع، وفصاحة اللسان، وقوة الحجة، والقدرة العجيبة على استيعاب الأمور وحل المعضلات، حسن التدبير، كثير الإنفاق، زاهداً في الدنيا، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، وهبه الله قبولاً وهيبةً، يشعر بهما كل من رآه، أو سمع منه[١].

خامساً: رحلاته:

تنقل الشيخ في عدة مناطق من الجزيرة العربية لتلقي العلم، فانتقل إلى مكة المكرمة وتتلمذ على يد علمائها ثم توجه قاصداً المدينة المنورة ودرس على عدد من شيوخ الحرم المدني، ثم يمم شطر البصرة، فمكث فيها فترة من الزمن للتحصيل العلمي، وبعد ذلك توجه إلى الأحساء لاستكمال تحصيله العلمي، ثم رجع إلى حريملاء في نجد[٢].

سادساً: وفاته:

توفى الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في ذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ ودفن في الدرعية، بعد حياة مليئة زادت على التسعين عاماً مليئة وظفها في الجهاد والدعوة إلى الله[٣].

---

(١) انظر: التركي، د. عبدالله بن عبدالمحسن، تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص: ٩، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١: ١٤١٩هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢) انظر: الحقيل، د. سليمان، مرجع سابق، ص: ٢٨-٣٢.

(٣) انظر: المطوع، عبدالله بن محمد، مرجع سابق، ص: ٩٧.

المطلب الثاني
الحالة الدينية والسياسية والاجتماعية في عصره

أولاً: الحالة الدينية:

تحدث عنها عدد من المؤرخين، وكان من أبرزهم حسين بن غنام[1] حيث يقول: (في مطلع القرن الثاني عشر الهجري كان أكثر الناس انهمكوا في الشرك، وارتدوا إلى الجاهلية .... عدلوا عن عبادة الله وحده إلى عبادة الأولياء والصالحين من الأموات والأحياء، يستغيثون بهم في النوازل والكوارث، ويقبلون عليهم في الحاجات والرغبات، ويعتقدون النفع والضر في الجمادات والأشجار، ويعبدون أهل القبور، ويصرفون لهم الدعاء والنذور في حالتي الضراء والسراء)[2].

ففي الجبيلة (وادي حنيفة) كان يُعبد قبر زيد بن الخطاب[3]، وفي الدرعية كانت توجد بعض القبور والقباب، وتُنسب إلى بعض الصحابة - رضي الله عنهم -

---

(١) هو حسين بن أبي بكر آل غنام من قبيلة بني تميم، ولد في الأحساء، وطلب العلم على يد علمائها، اتصل بالشيخ محمد بن عبدالوهاب عند ظهور دعوته، ودرس على يديه، ثم جلس في التدريس في الدرعية، له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٢٢٥هـ . انظر: البسام، الشيخ عبدالله، علماء نجد خلال ثمانية قرون،٥٦/٢، طبع: دار العاصمة، ط:١٤١٩هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢) انظر: ابن غنام، حسين، تاريخ نجد (روضة الأفكار)، ١٠/١.، بدون طبعة.

(٣) هو زيد بن الخطاب بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي أخو عمر بن الخطاب ﷺ لأبيه، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، كانت معه راية المسلمين في اليمامة، واستشهد بها سنة ١٢هـ. انظر: العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٥٦٥/١، دار، صادر، ط١: ١٣٢٨هـ، لبنان، بيروت.

حيث كانت مراكز للتعبد الجاهلي من الدهماء[١].

وفي شعيب غبيراء كانت قبة ضرار بن الأزور[٢]- رضي الله عنه - سوقاً للبدع والمنكرات والشرك، وكانت طوائف من الناس تقصد شجرة الطرفية؛ يتبركون بها، ويعلقون الخرق عليها إذا ولدت المرأة ذكراً، ؛ لعله يسلم من الموت[٣].

ثانياً: الحالة السياسية والاجتماعية .

كان إقليم نجد في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري مقسماً إلى عدد من الإمارات الصغيرة، والمشيخات، فكانت إمارة في العيينة، وإمارة في الدرعية، وإمارة في الرياض وإمارة في الخرج، بالإضافة إلى إمارات ومشيخات صغيرة لا يعبأ بذكرها، ولم يكن لهذه الإمارات نظام سياسي معروف، بل كانت الحروب قائمة في معظم الأحيان بين أمرائها، وكان العداء مستمراً بين البدو والحضر، حتى عمت الفوضى، وكثرت الانقسامات، وافترقت الكلمة. ونشب الصراع على موارد الرزق المحدودة، وقل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكثرت الهجرات من نجد بسبب هذه الظروف القاسية والصعبة. أما بقية أقاليم الجزيرة العربية، فكان الحجاز تحت سلطة الأشراف، ونفوذ الدولة العثمانية، وكان شرق الجزيرة العربية تحت حكم أسرة آل حميد من بني خالد، أما حائل وشمال الجزيرة فكانت تحكمه أسرة آل علي ثم أسرة آل رشيد.وكان اليمن وأجزاء من جنوب الجزيرة العربية محكوماً بحكم

---

(١) انظر: المطوع، عبدالله بن محمد، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٢) هو الصحابي الجليل ضرار بن الأزور واسم الأزور مالك بن أوس، سكن الكوفة، واستشهد في اليمامة . انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٠٨/٢.

(٣) انظر: الندوي، مسعود، محمد بن عبدالوهاب (مصلح مظلوم ومفترى عليه)، ص:٢٩، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١٤٠٤هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض.

الأئمة الزيديين منذ أمد بعيد[1].

(١) انظر: التركي، د. عبدالله بن عبدالمحسن، تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص: ٢٥-٢٦.

المطلب الثالث
التعريف بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

تتلخص دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في العمل على تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، ومحاربة الشرك بشتى أنواعه وصوره، يقول رحمه الله: وأما ما دعونا الناس إليه، فندعوهم إلى التوحيد الذي قال الله فيه خطاباً لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1].

ولذلك سلك الشيخ لتحقيق هذه الغاية سبيل الدعوة من خلال البيان بالتعليم والتلقين في جميع تنقلاته في أنحاء الجزيرة العربية، ومن خلال كتابة الرسائل رداً على الأسئلة التي كانت ترد عليه من أطراف الجزيرة العربية[2].

كذلك تبيين حقيقة التوحيد، وتعريف الناس بربهم الحق، وما ينبغي له من التنزيه والإجلال، وبيان حقوقه على العباد، وأن الله هو المستحق وحده للعباده دون شريك، وأن يُعبد بما شرع وأن له الخلق والأمر. وقد أعلن - رحمه الله - أن التوسل والشفاعة لا تكون بغير الله تعالى، فيقول في رسالته لأهل المغرب: (فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله، والتوجه إلى الموتى، وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات، وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد التي لا تصلح إلا لله وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف

(١) سورة يوسف: آية: ١٠٨.

(٢) انظر: الحقيل، د. سليمان، مرجع سابق، ص:١١٣-١١٤.

جميعها، لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً[1].

ويمكن القول إن دعوة الشيخ - رحمه الله - تدور حول الأمور الآتية:

١ - التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

٢ - تطهير الاعتقاد مما شابه من أوضاع الجاهلية.

٣ - تجلية المفاهيم الإسلامية مما أحاط بها من غموض أو نقص أو ميل أو تحريف.

٤ - إقامة فرائض الإسلام، وشرائع الدين، والاحتكام إليها في مختلف شؤون الحياة.

٥ - بيان الجائز والممنوع في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والدماء.

٦ - إقامة الإمامة الراشدة التي تقوم على أمور المسلمين بالحق[2].

٧ - بيان الحلال والحرام[3].

يقول الشيخ في رسالته لأحد علماء العراق: لكني أبين للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعبد

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس: الرسائل الشخصية، الرسالة: ١٧، ص: ١١١، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٢) انظر: العقل، د.ناصر بن عبدالكريم، إسلامية لا وهابية، ص:٤٣-٤٥، دار إشبيليا، ط:١٤٢٤هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) انظر: الشويعر، د. محمد بن سعد، تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، ص: ٣٦، مطابع الحميضي، ط:١٤٢٢هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض.

بـه اللّه مـن الـذبح والنـذر والتوكـل والسـجود، وغـير ذلـك ممـا هـو حـق اللّه الـذي لا يشـركه فيـه ملـك مقـرب ولا نـبي مرسـل وهـو الـذي دعـت إليـه الرسـل مـن أولهـم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة[1].

(١) انظر، مؤلفات الشيخ، مرجع سابق، قسم الرسائل الشخصية، الرسالة: ٣٧، ص:٢٥٢.

المبحث الثالث
مظاهـــر الحجـــة
في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله)

تضمنت دعوة الشيخ الكثير من صيغ وسائل إقامة الحجة على المخالفين لكثرة شيوع البدع والضلالات في عصره؛ مما أدى إلى استنفاذ الوسائل حينذاك لهذا الغرض، ومنها:

المطلب الأول
تأليـــف الكـــتب

ليس من شك بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ألف مجموعة من الكتب لدحض شبهات المخالفين، وإقامة الحجة عليهم.

من ذلك كتابه الموسوم: كشف الشبهات: حيث أورد معظم شبهات المخالفين في عدم التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية ثم أوضح الحجة عليهم من الكتاب والسنة.

حيث قال (رحمه الله): والعامي من الموحدين يغلب الألف من هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1] فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان...فلا يأتي صاحب حجة أي من المشركين إلا وفي القرآن ما ينقضها، ويبين

(١) سورة الصافات، آية: ١٧٣.

بطلانها[1]، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة[3].

ويقول الشيخ: وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو ... فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[4].

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ. عرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة[5].

ويقول الشيخ - رحمه الله - فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة . فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك، فإذا قال نعم. فقل له: بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقه عليك، فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[6].

(١) انظر: عبدالوهاب، الشيخ محمد، كشف الشبهات، ص: ١٢، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١٤١٣، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٣٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص:١٢.

(٤) سورة يونس، آية: ٣١.

(٥) انظر: عبدالوهاب، الشيخ محمد، كشف الشبهات، ص:٧.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

فإذا أعلمته بهذا، فقل له هل علمت هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة.فقل له: إذا أقررت أنها عبادة، ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم[١].

ويقول في موضع آخر: يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة[٢] قتل من قال: (لا إله إلا الله) وكذلك قوله: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله)[٣]. ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها: لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل. وهؤلاء مقرون أن من أنكر البعث: كُفّر وقُتل، ولو قال لا إله إلا الله،وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كُفّر وقتُل، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟[٤].

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله. والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾[٥]، أي فتثبتوا.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص: ١٨.

(٢) هو أسامة بن زيد بن حارثة، حبُ رسول الله ﷺ، ويكنى بأبي محمد، وأمه أم أيمن حاضنة النبي عليه الصلاة والسلام، ولاه عليه الصلاة والسلام سرية فيها أبو بكر وعمر، مات بالمدينة آخر خلافة معاوية. انظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢٦٨/١، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٠٩هـ، بيروت، لبنان.

(٣) رواه البخاري عن ابن عمر ﷺ في كتاب الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة، ١٤٣/١، رقم: ٣٩٢.، المكتبة العصرية، ط: ١٤٢٦هـ، بيروت، لبنان.

(٤) انظر: عبدالوهاب، الشيخ محمد، كشف الشبهات، ص:٣٤.

(٥) سورة النساء، آية: ٩٤.

فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام يقُتل، لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى[1]، والدليل على هذا أنه عليه الصلاة والسلام.. هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم... الحديث»[2]. مع كونهم أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً. حتى أن الصحابة ليحقرون صلاتهم عندهم[3].

وفي كتاب الشيخ - رحمه الله - مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، يقيم الحجة على خصومه بقوله: فيُعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة قد يمرق أيضاً من الإسلام في هذه الأزمان، وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث يقول: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[4].

وعلي بن أبي طالب حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم.

فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني أو أنا حسبك ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبها فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليُعبد وحده لا شريك له، لا يُجعل معه إلهٌ آخر[5].

وذكر الشيخ في كتابه: الأصول الثلاثة وأدلتها: أن أنواع العبادة التي أمر الله بها

---

(١) انظر: المرجع السابق: ص:٣٥.

(٢) رواه البخاري عن علي ﷺ في كتاب المناقب، باب:علامات النبوة، ١١١٤/٣، رقم (٣٦١١).

(٣) انظر: عبدالوهاب، الشيخ محمد، كشف الشبهات، ص:٣٥.

(٤) سورة النساء، آية: ١٧١.

(٥) انظر: عبدالوهاب، الشيخ محمد، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ص:٢٠-٢١، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١٤١٣، المملكة العربية السعودية، الرياض.

مثل الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة. والخشوع والخشية والأنابة والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة والذبح، والنذر، وغير من ذلك من العبادة التي أمر الله بها (كلها لله) والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1]، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[2].

كما ذكر في موضع آخر من الكتاب: أن كل أمة بعث الله إليهم رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾[3].

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال ابن القيم[4] رحمه الله: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرون، ورؤسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

---

(١) سورة الجن، آية: ١٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية:١١٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الحنبلي، من تلاميذ ابن تيمية، له مصنفات كثيرة، توفي سنة (٧٥١هـ). انظر: العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٤٠٠/٣، دار الجيل، بيروت، لبنان.

المطلب الثاني

الرسائل

بعث الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - الكثير من الرسائل إلى نواحي نجد وغيرها من داخل الجزيرة العربية وخارجها يبين فيها أمر دعوته، ويقيم الحجة على خصومه .

يقول الشيخ في رسالته إلى أحد شيوخ القبائل: وصورة الأمر الصحيح أني أقول: ما يُدعى إلا الله لا شريك له، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1]، وقال في حق النبي ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾[2]. فهذا كلام الله، والذي ذكره لنا رسول الله ووصانا به، ونهى الناس عنه، أن لا يدعوا غيره .فلما ذكرت لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهما أنها على خلاف أمر الله ورسوله، وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾[3]. فلما أظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم،وقالوا أجعلتنا مشركين، وهذا ليس إشراكاً.هذا كلامهم،وهذا كلامي أسنده عن الله ورسوله، وهذا هو الذي بيني وبينكم،فإن ذُكر عني شئ غير هذا فهو كذب وبهتان[4].

---

(١) سورة الجن، آية: ١٨.

(٢) سورة الجن، آية: ٢١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٢.

(٤) انظر: د. عبدالعزيز الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، الرسالة الرابعة، ص: ٣٣، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله تعالى) في رسالة إلى أحد علماء عصره: ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين أني لما بينت لهم كلام الله، وما ذكره أهل التفسير في قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[1]. وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾[2]، وقوله: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[3] وغير ذلك، قالوا القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالكم، ولا بكلام الرسول، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون، قلت لهم أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية كلٌ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم، فلما أبوا ذلك نقلت لهم كلام العلماء من كل مذهب، وذكرت ما قالوا بعد ما حدثت عند القبور والنذر لها فصرفوا ذلك وتحققوه ولم يزدهم إلا نفورا[4].

ويذكر الشيخ في رسالته لعالم من أهل المدينة: ما يُدعى إلا الله، ولا يُنذر إلا لله، ولا يُذبح إلا لله، ولا يُخاف إلا من الله، فمن جعل شيئاً لغير الله فنقول هذا الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾[5]، والكفار الذين قاتلهم النبي ﷺ، واستحل دماءهم، يقرون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له النافع الضار المدبر لجميع الأمور، فاقرأ قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ

(١) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٢) سورة يونس، آية: ١٨.

(٣) سورة الزمر، آية:٣.

(٤) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ٢٨٤/٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٤٨.

وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

وأما الأحاديث الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم: فلما قال بعض الصحابة ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني نداً لله، قل ما شاء الله وحده»[2].

وفي الحديث الثاني قال بعض الصحابة: «قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال ﷺ: إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله وحده»[3].

وفي الحديث الثالث أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت له كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، قال: « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[4].

ويقول الشيخ في رسالته لأهل المغرب: إن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[5]. فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[6].

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٨٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ٢٨٢/١، رقم (١٨٤٤). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) رواه أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ٣٧٣/٥ رقم (٢٢٧٧٢)، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ١٥٢/١، رقم (٤٢٧).

(٥) سورة الزمر، آية: ٤٤.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1].

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم.

وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج والصلاة، واتخاذها أعياداً، وجعل السدنة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم وحذر منها كما قال: « لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان»[2].

وهو صلى الله عليه وسلم حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يوصل إلى الشرك فنهى أن يجصص القبر، وأن يبنيى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه، ولا تمثالاً إلا طمسه . ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم. فهذا الذي أوجب بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا

---

(١) سورة الجن، آية: ١٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن ثوبان ﷺ في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ٤/٢٢١٤، رقم (٢٨٨٩). ورواه أبو داوُد عن ثوبان ﷺ في كتاب الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها، ٤/٩٧-٩٨، رقم (٤٢٥٢)، طبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾[1]. فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

(١) سورة الأنفال، آية: ٣٩.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٥.

المطلب الثالث

المناظرة

يمكن القول إن المناظرة كانت من الوسائل الفعالة في إقامة الحجة على المخالفين خلال تاريخ الدعوة الإصلاحية، فيُذكر أن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[١] عندما استقر في الرياض، وجلس لطلاب العلم بها، وعرف الإمام فيصل[٢]، ووالده الشيخ عبد الرحمن بن حسن[٣]، غزارة علمه وسعة اطلاعه، وقوة عارضته، وقدرته على المناظرة، بعثاه إلى الأحساء لتقرير عقيدة السلف، ونشر دعوة التوحيد، ومناظرة علمائها في أصول الدين والعقائد، فقدم الشيخ سنة ألف ومائتين وأربع وستين من الهجرة، وأقام بها سنتين يوضح طريقة السلف، ويناظر علماء الأحساء الذين كانوا على مذهب أبي الحسن الأشعري[٤]، وطريقته في التأويل، فظهر

(١) هو عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد سنة١٢٢٥هـ في مدينة الدرعية، غادر إلى مصر مع أسرته، وطلب العلم على يد علماء أسرته ثم الأزهر، وعاد إلى نجد ١٢٦٤هـ، له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٢٩٢هـ. انظر: ابن بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ٢٠٢/١.

(٢) هو فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، ولد ١٢٠٣هـ في الدرعية، تولى الحكم بعد مقتل والده عام ١٢٥٠هـ، له جهود كبيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، ونصرة الدعوة، توفى سنة ١٢٨٢هـ .انظر: العثيمين، د. عبدالله، تاريخ المملكة العربية السعودية، ٢٣٧/١.

(٣) هو عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولدسنة ١١٩٣هـ، طلب العلم وهو صغير، انتقل إلى مصر بعد سقوط الدرعية، وواصل تحصيل العلم على يد مشائخ الأزهر، ثم رجع الرياض سنة ١٢٤١هـ. انظر: ابن بسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ١٨٠/١.

(٤) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، مؤسس مذهب الأشاعرة، بلغت مصنفاته ثلاثمائة، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ .انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٨٤/٣، رقم (٤٢٩)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

عليهم بالأدلة، وقهر ما في نفوسهم من رواسب التأويل، فاقتنع علماء الأحساء بذلك، وأخذوا على أنفسهم التزام طريقة السلف[1].

كما بعث الإمام عبدالعزيز ابن الإمام محمد بن سعود إلى مكة المكرمة سنة ألف ومائتين وإحدى عشرة من الهجرة، لمناظرة علماء مكة المشرفة، وذلك إجابة من حاكم مكة حينذاك، عندما طلب منه أن يبعث إليه عالماً لينـاظر علماء الحرم الشريف، في شيء من أمور الدين، فبعث الإمامُ عبدُ العزيز الشيخ عبدالعزيز الحصين[2] على رأس ركب من العلماء، فلما وصلوا مكة المشرفة، أكرم نزلهم حاكم مكة . فوقع بين علماء الحرم وبين الشيخ عبد العزيز الحصين، مناظرة عظيمة في مجالس عديدة، يحضرها الشريف، وبمشهد من أهل مكة، وذلك في شهر رجب من سنة ١٢١١هـ، فظهر عليهم الشيخ بالحجة، وقهرهم بالحق، وسلموا له وأذعنوا، في مسائل الدعاء والاستغاثة بالأنبياء والأولياء، وحكم من قال كلمة التوحيد، ولم يصل ولم يزك، وحكم البناء على القبور،من خلال إيراده الأدلة من الكتاب والسنة[3].

كما ناظر الشـــيخ أحمد بن عيسى[4] أحد تلاميذ الشيخ عبدالرحمن بن حسن

---

(١) انظر: آل الشيخ: عبدالرحمن بن عبداللطيف، علماء الدعوة، تحقيق: أحمد التويجري،ص:٨٩-٩٠، ط١:١٤٣١، الرياض، السعودية، دار الثلوثية للنشر.

(٢) هو عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن أحمد الحصين، ولد في شقراء سنة ١١٥٤هـ، درس على يد الإمام المجدد في الدرعية، ثم عين قاضياً لشقراء، توفي عام ١٢٣٧هـ. انظر: ابن بسام، علماء نجد، ٤٥٤/٣.

(٣) انظر: المطوع، عبدالله بن محمد، الدعوة الإصلاحية، ص:٢٥٦.

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن عيسى ولد في شقراء سنة ١٢٥٣، تتلمذ على الشيخ عبدالرحمن وابنه عبداللطيف، وعمل بالتجارة، توفي سنة ١٣٢٧هـ، . انظر: مشاهير علماء نجد، آل الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، ص: ٢٢، دار اليمامة، الرياض، ط: ١٣٩٢هـ.

- الشيخ عبد القادر بن مصطفى التلمساني[١] أحد مشائخ الأزهر لمدة خمسة عشر يوماً في مسائل العقيدة التي خالفت فيها الدعوة عقيدة الأشاعرة في التوحيد، فذكر الشيخ أن: أننا نعتقد أن الله فوق سماواته بائن عن مخلوقاته مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تأويل، وهكذا اعتقادنا في جميع آيات الصفات وأحاديثها ثم أورد النصوص الشرعية الدالة على ذلك، وأقوال السلف، ومن تنسب إليه عقيدة الأشاعرة في كتابية: الإبانة في أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين. وقد انتهت المناظرات الطويلة بإقناع الشيخ التلمساني بأن عقيدة السلف هي الأسلم والأحكم والأعلم، ثم بعدها صار الشيخ التلمساني من دعاة العقيدة السلفية، وطبع على نفقته كتباً كثيرة لكثير من علماء السلف؛ فكان يوزعها مجاناً[٢].

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) انظر: آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبد اللطيف، علماء الدعوة، ص: ١٤٠-١٤٢.

المطلب الرابع
الاتصال المباشر

ذكر المؤرخون عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - أنه سار بنفسه لقطع شجرة كان يعظمها الناس بالعيينة، وأنه هدم بيده القبة التي على قبر زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - في بلدة الجبيلة؛ حتى أن الناس لما رأوه يهدمها انتظروا ما يحدث له بسبب هدمها، فلما كان على أحسن حال وظهرت الحجة؛ علموا أن هذا القبر لا ينفع ولا يضر.

ولا ريب أن من الناس من يعجز عن فهم الأقوال التي تلقى على أسماعهم؛ ولكنهم يفهمون عن طريق ما يشهدون من أعمال بأعينهم ومن ثم تكون الحجة ظاهرة عليهم[1].

ليس من شك أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب سلك في سبيل تبليغ دعوته الاتصال المباشر بالناس؛ فإنهم إذا كانوا يعتقدون -مثلا - أن قبر الولي يحميهم، ثم وجدوه غير قادر على حماية القبة المبنية على قبره، والثأر ممن هدمها آمنوا بأنهم على خطأ في الاعتقاد بقدرته على النفع والضر، وبذلك تكون الحجة في إقناعهم بالأفعال دون الأقوال.

ولما استقر الشيخ في الدرعية، وقد آوى إلى ركن شديد، عقد العزم أن يبين الحجة للناس فيما يقومون به من أعمال الشرك والبدع والخرافات؛ فعمد رحمه الله إلى تعليم الناس بنفسه التوحيد، ومبادئ الدين من نصوص الكتاب والسنة؛ فكان أول ما فعل أن اتخذ من داره التي يسكنها في الدرعية مدرسة يعلم فيها الناس جوهر الدين،

(١) انظر: الحقيل، د. سليمان، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحقيقة دعوته، ص:٤٦.

ومعنى التوحيد، وأصول العقيدة من مصادرها الأصيلة؛ فلما ضاقت من كثرة الدارسين والوافدين من البلدان المجاورة، وأصبحت لا تتسع لمثل هذه الأعداد الغفيرة من المدعوين[١]. فما كان من الشيخ إلا أن أشار على الإمام محمد بن سعود أن يبني مسجداً كبيراً يتسع لجميع أهل الدرعية لأداء الصلاة، واستماع دروس التوحيد حتى تظهر الحجة عند عامة الناس. كما أمر الشيخ العلماء والدعاة وأئمة المساجد في جميع النواحي أن يسألوا الناس بعد كل صلاة صبح أو بين العشاءين عن معرفة الأصول الثلاثة، وهي معرفة الله، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة نبيه ﷺ، ومن ثم تبيين ذلك بالحجة من أدلة الكتاب والسنة. ولما كانت دعوة الشيخ عامة، لا تخص إقليم نجد وحده فقد امتد اهتمامها العلمي ليبلغ من كانوا في البلدان الأخرى التي خضعت للدرعية، فقد أرسل إليهم الشيخ بعض تلامذته النابهين؛ ليعلموهم التوحيد، وأحكام الدين، وشرائع الإسلام؛ ويقيموا عليهم الحجة[٢].

(١) انظر: الحقيل، د. سليمان، حياة الشيخ وحقيقة دعوته، ص: ٥٩.

(٢) انظر: الحليبي، د. أحمد، المتغيرات الثقافية في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص:٤٢-٤٣، مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

المبحث الرابع
آثار الحجة وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول
آثارها على الداعية

لا يصعب القول أن وسيلة الحجة كان لها القدح المعلى في نجاح دعوة الشيخ الإصلاحية في الجزيرة العربية، حيث كان لها أثار كبيرة على الداعية للتوحيد سواء كان الشيخ أو أبناؤه أو أحفاده أو تلاميذ مدرسته؛ فكانت تلك الصلابة في الحق، وذلك البذل للدين، وتلك القدرة على محاججة الخصوم وإقناعهم بالأدلة من الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة .

وتأسيساً على ذلك يمكن القول إن أبرز آثار وسيلة الحجة على الداعية كما يلي:

(١) الرؤية الواضحة:

إذا كانت الدعوة ترتكز على حجج ظاهرة من النقل والعقل والواقع؛ يكون أثرها أوقع على شخصية الداعية حيث تصبح رؤيته للحق واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، لا يتزحزح عنها، ولا يغير أو يبدل، ومن ثم تستقر في عقله ووجدانه، وهذا يظهر في سير الأنبياء والمصلحين والعلماء على مر التاريخ، حينما كانت دعوتهم تقوم على حجة قاهرة، كانت رؤيتهم واضحة لما يريدون من أقوامهم، ففي قصة إبراهيم عليه السلام التي قصها الله في القرآن الكريم، أظهرت بما لا يدع مجالاً للشك رؤيته الواضحة لضلال قومه[1]، وبعدهم عن منهج الله، ودوره في إرشادهم، قال

(١) انظر: زينو، محمد بن جميل، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص: ١١، دار ابن خزيمة، ط:١، الطائف.

تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

وسيد الخلق عليه الصلاة والسلام، لما عرض عليه كفار قريش السيادة والملك والجاه والمال والتزويج بأجمل النساء من أجل أن يترك هذا الأمر؛ كانت رؤيته واضحة فقال: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركته[2].

ولا ريب أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - برغم الصعوبات التي واجهته في طريق الدعوة لإخلاص الدين لله تعالى منذ أن بدأ بها في حريملاء؛ فمنعه أبوه خوفاً عليه، فلم يثن عزمه، ولم تَخُرْ عزيمته؛ لرؤيته الواضحة لما يريد؛ فألف كتاب التوحيد، ثم جاءت محاولة اغتياله في حريملاء؛ فما كان إلا أن نقل الدعوة إلى العيينة فحققت الدعوة الكثير من النجاحات، ولما تم إبعاده من العيينة خشية أميرها بن معمر من حاكم الأحساء؛ نقل الدعوة إلى الدرعية، ومن ثم تم الاتفاق بينه وبين الإمام محمد بن سعود على تحقيق رؤيته لإرجاع الناس إلى التوحيد، وإقامة الدولة، وتعليم الناس ما لا يسع الجهل به من أحكام الدين[3].

(٢) الاستعداد للتضحية والجهاد:

لاشك أن قوة الحجة ووضوحها عند الداعية المستندة على نصوص الكتاب والسنة، ومنهج أصحاب القرون المفضلة؛ تهيئ الداعية تهيئة نفسية وروحية للبذل والعطاء والتضحية من أجل تبليغ هذه الدعوة، مهما كان الثمن أو التكلفة، ولنا في

(١) سورة الزخرف، آية: ٢٥-٢٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، ٢٦٦/١، دار الكنوز الأدبية، بدون طبعة.

(٣) انظر: المطوع، عبدالله بن محمد، ص(١٨٧-١٩٠).

الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أسوة حسنة، فإبراهيم عليه السلام كاد يُحرق بالنار، وموسى كاد أن يقتله فرعون، ونوح عليه السلام بذل عمره كله في دعوة قومه، وعيسى عليه الصلاة والسلام كاد أن يُصلب لولا أن رفعه الله إليه.

وسيد الخلق عليه الصلاة والسلام أوذي من قومه، وقيل عنه ساحر ومجنون، وأُلقيت عليه وهو ساجد الأقذار، وتعرض لمحاولة اغتيال وقتل، وحُوصر، وُضيق عليه وتكالبت عليه القبائل، ورمُيت عليه الحجارة، فكان عليه الصلاة والسلام صابراً محتسباً باذلاً نفسه في سبيل تبليغ هذه الدعوة[1].

ولا يعسر القول أن الشيخ قد بذل نفسه ووقته وجهده في سبيل هذه الدعوة المباركة القائمة على حجة ظاهرة من الكتاب والسنة، فقد تم إيذاؤه في البصرة من عامة الناس عندما أنكر عليهم بعض الشركيات والبدع، ثم وجد المعارضة الشديدة في حريملاء حتى وصلت لمحاولة اغتياله، وعندما انتقل إلى العيينة وحققت الدعوة بعض النجاحات، وإذ بأمير العيينة يأمر بطرده من البلد، فما كان منه إلا أن انتقل إلى الدرعية، وحدث الاتفاق التاريخي الشهير بينه وبين الإمام محمد بن سعود على نصرة الدعوة، وإقامة الدولة؛ فتكالبت عدد من القوى داخل وخارج نجد بالحرب تارة، وبالحصار والتشويه تارة أخرى، حتى كتب الله لها النصر والتمكين[2].

(٣) قدرة الداعية على تفنيد شبهات الخصوم:

إن قوة حجة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - قد مكنته من مواجهة حملات علمية وتشويه متعمد، وتهم لا حصر لها، من تكفير عامة المسلمين، وتبني منهج الخوارج، وأن الناس منذ ستمائة سنة ليسوا على التوحيد، والخروج على خليفة

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٥٤.

(٢) انظر: المطوع، عبدالله بن محمد، الدعوة الإصلاحية وأعلامها، ص:١٨٧-١٩٠.

المسلمين، ووجوب الهجرة إليه[1]، وقد أظهرت رسائل وكتب الشيخ قدرة فائقة في الرد على خصومه ممن ناصبوه العداء وليس من الشطط أن الشيخ بما كان عنده من حجج قوية من كلام الله ورسوله وأقوال العلماء المعتبرين، ومعرفته بواقع المسلمين في عصره استطاع تفنيد معظم هذه الحجج[2].

ومما يؤيد ذلك ما جاء في رسالته لأحد علماء عصره حيث يقول: ولا يخفاك أني أعرض من سنين على أهل الأحساء وغيرهم، وأقول كل إنسان أجادله بمذهبه إن كان شافعياً فبكلام الشافعية، وإن كان مالكياً فبكلام المالكية، أو حنبلياً أو حنفياً فكذلك.

فإذا أرسلت إليهم ذلك عدلوا عن الجواب لأنهم يعرفون أني على الحق وهم على الباطل، وإنما يمنعهم من الانقياد التكبر والعناد على أهل نجد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾[3].

وجاء في رسالته لكل من يصل إليه من علماء المسلمين: وهكذا هؤلاء، لما ذكرت لهم ما ذكره الله ورسوله، وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف، من الأمر بإخلاص الدين لله، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا في اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، قالوا تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء، والله تعالى ناصر دينه ولو كره المشركون، وها أنا أذكر مستندي في ذلك، من كلام أهل العلم من جميع الطوائف.

---

(١) انظر: الحقيل، د.سليمان، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحقيقة دعوته، ص: ١٧٦-١٨٠.

(٢) انظر: الشويعر، د. محمد بن سعد، تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، ص:٨٣-٨٥.

(٣) سورة غافر، آية: ٥٦.

فأما كلام الحنابلة ...، قال في الإقناع في أول باب حكم المرتد: إن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر إجماعاً.

أما كلام الشافعية.....في كتاب (الباعث على إنكار البدع والحوادث): لكن نبين من هذا ما وقع فيه جماعة من جهال العوام، النابذين لشريعة الإسلام، واعتقادهم في مشائخ لهم .. إلى أن قال: بهذه الطرق وأمثالها كانت مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها[١].

وأما كلام المالكية[٢]: في كتاب الحوادث والبدع: لما ذكر حديث الشجرة ذات أنواط .. «فانظروا رحمكم الله أين ما وجدتم سدرة أو شجرة، يقصدها الناس ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء لمرضاهم من قبلها، فهي ذات أنواط فاقطعوها». وذكر قوله ﷺ: « فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[٣].

(١) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قسم الرسائل الشخصية، ص: ١٧٦-١٧٧.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قسم الرسائل الشخصية، ص:١٧٩.

(٣) رواه ابن ماجة في سننه عن العرباض بن سارية ﷺ باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ١٦/١، رقم: ٤٣، وصححه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٤٨/٢، رقم: ٩٣٧.

المطلب الثاني
آثارها على المدعو

(١) بيان الحق بدليله:

إن وسيلة الحجة لدى الداعية تبين الحق الذي لا مرية فيه للمدعو، حيث تتجلي له الحقائق وتتكشف له لا سيما أنها تقوم على مستندات من النقل والعقل والواقع لا يمكن ردها أو إنكارها، فلا مناص له من الإذعان والتسليم. لذلك كانت دعوات الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامة مؤيدة بالمعجزات، ومسددة بالوحي حتى يظهر الحق للمدعو بدليله.

وتأسيساً على ذلك، لاقت دعوة الشيخ نجاحا كبيراً في الجزيرة العربية، وقبولاً من المدعوين منقطع النظير حيث كانت الحجة ظاهرة في كتب الشيخ ورسائله تتصدرها الأدلة والنصوص من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم، وأئمة المذاهب، فما كان إلا أن استجاب له المدعوون، وحصل لها القبول الكبير، ودخل الناس إلى دعوته زرافاتٍ ووحدانا. ومن جهة أخرى كان لوسيلة الحجة الأثر البالغ في المفاصلة مع معارضي الدعوة ومناوئيها، ومعرفة حقيقة موقفهم من دعوة الشيخ.

ويمكن القول إن القبول لدعوة الشيخ كان من ثمرات بيان الشيخ الحق للمدعو في رسائله وكتبه وتعليمه وما إلى ذلك.

يقول الشيخ في رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة: وإذا عرفتم ذلك فاعلموا أن قول الرجل: لا إله إلا الله نفي وإثبات، إثبات الألوهية كلها لله وحده، ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم،وليس معنى الألوهية أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يحي ولا يميت إلا الله، فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرون بهذا

كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1]، ومصداق هذا أنكم إذا رأيتم من يخالف هذا الكلام وينكره فلا يخلو: إما أن يدعي أنه عارف فقولوا له هذا الأمر العظيم لا يغفل عنه فبين لنا ما يصدقك من كلام العلماء إذا لم تعرف كلام الله ورسوله، فإن زعم أن عنده دليلاً فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على أهل المعرفة، ويتبين لنا أنك على الصواب، ونتبعك فإن نبينا صلى الله عليه وسلم قد بين لنا الحق من الباطل، وإن كان المجادل يقر بالجهل، ولا يدعي المعرفة، فياعباد الله كيف ترضون بالأفعال والأقوال التي تغضب الله ورسوله، وتخرجكم عن الإسلام إتباعاً لرجل يقول: إني عارف، فإذا طالبتموه بالدليل عرفتم لا علم عنده أو اتباعاً لرجل جاهل، وتعرضون عن طاعة ربكم[2].

(٢) اتّباع الدعوة والانتماء إليها:

ليس من شكٍ أن كل دعوة تقوم على حججٍ قاهرة تجذب لها أتباعاً ومناصرين ومنتمين، وهذا ما حدث في كل تاريخ البشرية؛ فإذا ما كانت الدعوات في الأمور الدنيوية أو المعيشية التي حصلت في العصر الحاضر أو العصور السالفة وجدت لها مناصرين وأتباعاً، فكيف إذا كانت الدعوة تقوم على صلاح الدين والدنيا، دار المتاع ودار القرار.

ويشهد التاريخ أن الدعوة إذا خاطبت جوانب الإنسان المختلفة من جسد وروح وعقل؛ يكون لها أكبر الأثر في تكوين أتباع ومناصرين[3].

---

(١) سورة يونس، آية: ٣١.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قسم الرسائل الشخصية، ص: ١٨٧-١٨٨.

(٣) انظر: غلوش، د. أحمد بن أحمد، الدعوة الإسلامية، ص: ٣٣.

ومما لا شك فيه أن دعوة الشيخ قامت على حججٍ ظاهرة؛ لذلك وجدت أنصاراً وأتباعاً خلال مراحلها في حريملاء والعيينة والدرعية إلى أن قامت الدعوة، واستوت على سوقها.

لذلك وجدنا مناصرين لدعوته منذ أن صدع بها في حريملاء، ثم تكاثر أنصاره عندما نقلها إلى العيينة، وانتمى لها أميرها وأهاليها، ثم سرعان ما انتقلت الدعوة إلى مرحلة جديدة باستقطاب اتباع ومناصرين من خارج العيينة، منهم إخوان الإمام محمد بن سعود.

وعندما انتقل الشيخ إلى الدرعية، وجد كل المناصرة من أميرها وأهاليها، فكان الاتفاق الشهير على نصرة الدعوة، وإقامة الدولة[1].

(٣) تبليغ الدعوة ونشرها:

ليس من شكٍ أن قناعة المدعو بأمر الدعوة سيؤدي إلى تبنيها وتبليغها ونشرها بين الناس، فالحواريون عندما اقتنعوا بدعوة عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوه؛ خرجوا من فلسطين، وقاموا بنشر النصرانية في فينقية وقبرص وأنطاكية، حتى تبنتها الدولة الرومانية[2].

ودعوته عليه الصلاة والسلام شاعت عندما تبنى الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ نشرها في مكة المكرمة، ومصعب بن عمير - رضي الله عنه - في المدينة المنورة؛ حتى شاعت وانتشرت في الآفاق عن طريق الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) انظر: العقل، أ.د ناصر بن عبدالكريم، إسلامية لا وهابية، ص:٢٨-٢٩.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، ٥٦٥/٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

ولا يصعب القـــول إن الذي ســاهم في نشر دعـــــوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في أرجاء الجزيرة العربية هم من اقتنعوا بدعوته، وقبلوا حجته، وآمنوا برؤيته، سواء كانوا من طلبة العلم أو العلماء أو تلاميذه أو الحكام أو عوام الناس، فقاموا بتبليغها إلى الناس باللسان والسنان حتى شاعت وانتشرت في كل مكان، وبلغت الآفاق[1].

(١) انظر: الندوي، مسعود، محمد بن عبد الوهاب (مصلح مظلوم)، ص: ٤٣-٤٤.، جامعة الإمام، الرياض.

المطلب الثالث
آثارها على الدعوة

(١) صناعة التاريخ:

لا غرو أن التاريخ يُكتب ويُشكل من خلال الدعوات الكبرى التي تستند على حجج وأدلة مقنعة، فالقوة المجردة عن دعوات وأفكار كبرى لا يكتب لها البقاء طويلاً، فالقوة العسكرية وحدها سرعان ما تسقط، أو تندمج في الدعوات الكبرى؛ كما حدث في اندماج القوة الرومانية في الحضارة اليونانية، والقوة التترية في الحضارة الإسلامية[١].

ولا يعسر القول إن الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد كتبت تاريخاً جديداً للجزيرة العربية والعالم الإسلامي، وتاريخ الفكر الإسلامي[٢]. فقد غيرت هذه الدعوة المباركة وجه التاريخ، وشكلته من جديد، وامتدت آثارها إلى مناطق شتى، وأنحاء متعددة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى هذه الدعوة المباركة كان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في قيام الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة في الجزيرة العربية، ومن المعلوم أنها كانت تعاني من فراغ طيلة ستة قرون ماعدا بعض الإمارات هنا وهناك، وبعض مشيخات القبائل.

فما أن استوت الدعوة على سوقها واهتزت وربت حتى تغير وجه تاريخ الجزيرة،

---

(١) انظر: غلوش، د. أحمد بن أحمد، الدعوة الإسلامية، ص ٢٥٨.

(٢) انظر: الحقيل، د. سليمان، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحقيقة دعوته، ص ٢٠٢.

وأصبحت الدولة السعودية المؤسسة عليها ذات شأن عظيم بين الدول، فقد وصلت حدودها إلى معظم أنحاء الخليج العربي وأطراف الشام والعراق؛ مما استدعى أن تتحرك القوة الكبرى في تلك المرحلة لمحاولة القضاء عليها[١].

(٢) صياغة الوعي العام:

ويُقصد بالوعي العام مجموعة القناعات والمفاهيم والعقائد والقيم المستبطنة في الداخل، وتُشكل رؤية للخارج، ومنهجاً في السلوك والفعل والقول عند عامة أفراد الأمة[٢]. وغني عن البيان أن المناهج الكبرى، والدعوات الدينية، والأفكار العليا هي التي تبني المجتمعات، وتطبعها بطابعها وتصبغ الأمة بصبغة خاصة، قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[٣].

وعلى هذا يمكن القول إن دعوة الشيخ صبغت مجتمع الجزيرة العربية بصبغة دينية سلفية تقوم على منهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وامتداد لمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]. وتلميذه ابن القيم[٥]، ونبذ البدع والخرافات والشركيات، والتعلق بالحجر والشجر والبشر، والتوجه إلى الله تعالى مباشرة كما

---

(١) انظر: التركي، د. عبدالله بن عبدالمحسن، تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص: ١٧٢-١٧٣.

(٢) انظر: ياسين، د. السيد، الحرب الكونية، ص: ٤٢، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٣٨.

(٤) هو أبو العباس تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحراني الدمشقي، ولد في حران، وتحول مع أبيه إلى دمشق، فنبغ واشتهر، توفي سنة (٧٢٨). انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ١٤/١٤١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) سبق ترجمته.

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1]. وتظهر تجليات صياغة الوعي العام على مستوى المؤسسات بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مناهج التعليم، والقضاء والإفتاء، والدعوة والإرشاد، ووسائل الإعلام، والنشاطات الثقافية، والفعاليات الفكرية ونحوها.

وكذلك على مستوى الأفراد في سلوكهم اليومي، وأدائهم المدني، ونظرتهم إلى الحياة والإنسان والكون، وفي عقائدهم وقناعاتهم، وعباداتهم وقربهم، ومفاهيمهم وقيمهم[2].

(٣) الاستقرار والازدهار:

إن المجتمعات والأمم المستقرة والمزدهرة هي التي وضح عندها المنهج في شؤون دينها ودنياها وأصبحت تطمئن له، وتسكن إليه، وتأوي إلى ركنه الشديد. فإذا ما كان هذا المنهج قائماً على حججٍ ظاهرةٍ من الكتاب والسنة تغلغل في النفوس، واستقر في الوجدان، وبدأت ثمراته وآثاره تظهر على حياة الأمة، وفي تفاصيل حياتها اليومية.

وقد وعد الله سبحانه بأن الذين يطبقون المنهج الحق سيكون لهم التمكين في الأرض في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[3].

ولا يصعب القول إن الدعوة المباركة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد كتب الله لها التمكين في الأرض، حتى امتدت لما يقارب ثلاثة قرون، وزاد عدد منتسبيها ومناصريها في أنحاء العالم الإسلامي.

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) انظر: العقل، د. ناصر بن عبدالكريم، إسلامية لا وهابية، ص: ٤٤-٤٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٤١.

ويمكن القول إن هذه الدعوة المباركة قد ازدهرت وتوسعت من خلال وسائل التعليم من المدارس والمعاهد والجامعات والدورات العلمية التي تُقام في المساجد، وإقبال طلبة العلم من كل مكان للتعلم على علماء الدعوة ومشايخها، والنهل من مصادرها ومؤلفاتها؛ فازداد فيها التأليف والدراسات والبحوث والكتابات حول منهجية الدعوة وسلفيتها، وكذلك توسعت من خلال وسائل الإعلام.

المطلب الثالث
أوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر

لا غرو أن وسيلة الحجة يمكن الإفادة منها في العصر الحاضر حيث التوسع الهائل لوسائل الإعلام وقنوات الاتصال، والوسائل الإلكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي، ومن ثم أصبح العالم على حد تعبير أحد الإعلاميين (قرية صغيرة) [1]. وعلى هذا سيجد صاحب الدعوة أو الرسالة المبنية على حجج ظاهرة وواضحة منافذ متعددة لتبليغ الدعوة، وإيصال الرسالة، ومن ثم يمكن الإفادة من وسيلة الحجة في العصر الحاضر في نشر الحق بين الناس من خلال الآتي:

أولاً: المناظرات التي تنقلها وسائل الإعلام:

إن الثورة الإعلامية التي يشهدها العالم منذ عقدين من الزمن، جعلته ينفتح بعضه على بعض، وتتكشف العقائد والأفكار والثقافات على بعضها البعض حتى أصبحت مبذولة، ومتداولة، ومحل نقاش، وشدٍ وجذب. ولا غرو أنها أوجدت مساحة هائلة لجدل الأفكار وتصارعها، وتناقض الاتجاهات والتيارات، وتصادم وجهات النظر بين الفرقاء.

الأمر الذي جعل وسائل الإعلام تُعنى بهذه الظواهر الفكرية، وتنقلها من خلال الوسائط المختلفة إلى الرأي العام من خلال مناظرات بين اتجاهين متبيانين على موضوعات محددة. ولا شك أن صاحب الحجة الشرعية والعقلية والواقعية سيكون له التأثير الأقوى في هذه المناظرات لدى ملايين المتلقين من المتابعين، لاسيما أن هذا

(١) انظر: غليون، د.برهان، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ص:٢١، دمشق، سوريا.

العصر هو عصر انفجار الصورة[١]، حيث إنها المصدر الرئيس والوحيد لتلقي المعلومات والأخبار والمعارف لدى شرائح كبيرة من الناس وسوف تُحدث ربما تغييراً في الأفكار والقناعات والمفاهيم عند المشاهدين، ومن ثم تكون قد وصلت الرسالة، وانتشرت الدعوة.

ثانياً: الحوار مع أهل الأديان الأخرى:

تنامي ظاهرة الإرهاب والغلو والعنف بسبب بعض الاتجاهات والتيارات الدينية الغالية، جعلت العالم يتوجه إلى تغليب لغة الحوار بين مختلف الأديان السماوية والوضعية في اجتماعات ومؤتمرات تحت مظلة دولية، أو منظمات ومؤسسات ثقافية أو فكرية.

ولا ريب أن الحوار أمرٌ مطلوب لتبليغ الدعوة ونشرها في محاورة أهل الأديان الأخرى، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ ﴾[٣].

وتأسيساً على ذلك، فإن الحوار بين الفرقاء من أصحاب الأديان يستلزم حججاً شرعية وعقلية تجاه مختلف القضايا المطروحة على النقاش والمتداولة، حتى يتم نقض وتفنيد مزاعم المحاورين حول الإسلام ومبادئه وقيمه وأحكامه في قضايا دقيقة وحساسة في هذا العصر مثل قضايا المرأة، وحقوق الإنسان، والحريات ونحوها مما

(١) انظر: إبراهيم، مجدي عزيز، المنهج التربوي العالمي، ص:٣٧٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

هي مثار جدل بين مختلف الثقافات والأديان في العالم في المؤتمرات والمنتديات والمحافل الدولية التي تُعقد سنوياً[1].

ثالثاً: الدعوة من خلال وسائل التقنية الحديثة:

يشهد هذا العصر نقلات ضخمة في مجال التقنيات الحديثة، وأدوات غير مسبوقة في التواصل البشري والإنساني، وبدأت تتحول إلى جزء مهم من الحياة اليومية في حياة الكثيرين على مستوى العالم، مما جعل البشرية مقدمة على تحولات سريعة وحادة بسبب تسارع وتيرة نقل الرسائل والدعوات والأفكار والقناعات والمفاهيم والقيم بين البشر بمختلف مستوياتهم ولغاتهم ودولهم.

وعلى هذا، فتحت هذه الوسائل والوسائط منافذ ومساحات كبيرة للحركة والتفاعل الإنساني بين الصوت الدعوي والإنسان المعاصر في غير مكان في عالم اليوم.

وقد نجحت بلا شك المؤسسات الإعلامية الدولية في الإفادة من هذه التقنيات بما يخدم مصالحها، ووصل عن طريقها جزء كبير من الفساد إلى الإنسان المعاصر في العالم الإسلامي بشكل خاص، غير أنها بالمقابل قد أتاحت كماً هائلاً من المنافذ لأصحاب الحجة الشرعية في توصيل رسالتهم للناس جميعاً[2].

لا يصعب القول إن التقنيات المعاصرة قد فتحت آفاقاً إيجابيةً، ويسّرت لكل صاحب دعوة وسائل الوصول إلى المدعوين، ومكنت من فتح مجالات متعددة للحوار والمناظرة، وقدمت فرصاً وإمكانات ضخمة لإقامة الحجة على المخالف.

---

(١) انظر: العبدالكريم، فؤاد، العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة المسلمة، ص: ٣٥، مجلة البيان، عدد: ٣٤. لندن، بريطانيا.

(٢) انظر: سلطان، جمال، الإعلام الإسلامي وتحديات العولمة، ص: ٧٤، مجلة البيان، عدد: ٦٨، لندن، بريطانيا.

الخـاتمـــة

في ختام هذا البحث أحمد الله على إعانته وتيسيره، وأشكره على ماهيأ لي من أسباب إنجازه، وبلوغ غايته، وألخص أبرز القضايا والنتائج التي توصلت إليها:

١ - أن المقصود بالوسيلة هي ما يتقرب به إلى الشيء، وما يستعين به الداعي لتبليغ دعوته على نحو نافع ومثمر.

٢ - يُراد بالحجة الدليل والبرهان، وما دُل به على صحة الدعوة .

٣ - أن وسيلة الحجة من أهم الوسائل التي استخدمها الأنبياء في دعوة أقوامهم.

٤ - أن ثمة علاقة بين وسيلتي الجدل وإقامة الحجة من حيث إنهما يعرضان الحق على المخالف إلا أن وسيلة الجدل لا تستلزم الدليل. أما النصيحة تختلف عنها في قضية الإلزام بقبول المخالف الحق بأدلته أو رفضه تماماً.

٥ - تتلخص دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في العمل على تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، ومحاربة الشرك بشتى أنواعه وصوره.

٦ - استخدم الشيخ وسيلة تأليف الكتب لإقامة الحجة على المخالفين من ذلك كتابه الموسوم: كشف الشبهات: حيث أورد معظم شبهات المخالفين في عدم التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية ثم أوضح الحجة عليهم من الكتاب والسنة.

٧ - من أبرز الوسائل التي وظفها في إقامة الحجة على المخالفين: إرسال الرسائل إلى نواحي نجد والجزيرة العربية فأرسل إلى العلماء والأمراء وشيوخ القبائل من يوضح لهم أمر الدعوة وأنها قائمة على الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة.

٨ - الاتصال المباشر بالناس من الأمور التي فعلها الشيخ في سبيل إيضاح حجته، فقد قطع الشجر، وهدم قبة زيد بن الخطاب ﷺ وعمد إلى تعليم الناس التوحيد، والأصول الثلاثة، وفرائض الدين.

٩ - من آثار الحجة على الداعية: الرؤيا الواضحة للداعية حيال ما يريد تحقيقه من دعوته للناس، ومن ثم يتحمل في سبيلها المصاعب، ويتجاوز العقبات، ويتحمل أذى الناس. كذلك استعداده للتضحية والجهاد؛ فكل الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه جاهدوا في الله حق جهاده .كما أن قوة الحجة تجعل الداعية قادراً على تفنيد شبهات خصومه، وإلزامهم بما عندهم، وكشف أخطائهم العلمية والعملية .

١٠ - إن ثمرات وسيلة الحجة على المدعو كثيرة، منها: بيان الحق بدليله حيث تتكشف له الحقائق، وتتجلي له الأمور من خلال مستندات النقل والعقل؛ فيكون ذلك أدعى لاستجابته للدعوة.كما يكثر الأتباع والمناصرون للدعوة، وتجذب لها أعداداً كبيرة من المدافعين والمنافحين عنها، ومن ثم يزداد انتشارها، وتبليغها للآخرين .

١١ - لقد أثرت وسيلة الحجة على الدعوة تأثيراً بالغاً حيث إن التاريخ تكتبه وتشكله الدعوات الكبرى المستندة على حججٍ قوية وأدلة منطقية، كما أن من شأنها صياغة الوعي العام للمجتمع المتمثل بقناعاته وبقيمه في الداخل، ورؤيته للخارج، ومنهجه في السلوك والقول والفعل. ولعل من نافلة القول إن الاستقرار والازدهار المادي والمعنوي للمجتمع نتيجة منطقية لذلك كله، كما حدث في مجتمع الجزيرة العربية.

١٢ - لا غرو أن وسيلة الحجة يمكن الإفادة منها في العصر الحاضر من خلال

المناظرات بين أصحاب الأديان والأفكار التي هي محل متابعة من الملايين من البشر، كذلك مؤتمرات الحوار لمناقشة ظواهر الغلو والتعايش والقيم الإنسانية التي تبنتها مؤسسات دولية وعلمية وبحثية، الأمر الآخر أن التقنية المعاصرة فتحت منافذ ومساحات جديدة للتواصل بين البشر؛ مما يسر أمر وصول الدعوة لكل مخالف، وإقامة الحجة عليه.

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، مصر، القاهرة.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكنوز الأدبية، بدون طبعة.

(٤) إسلامية لا وهابية، د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط:١٤٢٤هـ.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار صادر، لبنان، بيروت.

(٦) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، دار الوفاء، عمان، الأردن، ط:١٤١٢هـ.

(٧) الإعلام الإسلامي وتحديات العولمة جمال سلطان، مجلة البيان، عدد:٦٨، لندن، بريطانيا.

(٨) البنية الحجاجية للخطاب القرآني أبو بكر العزاوي، مجلة المشكاة، عدد:١٩، ١٤١٥هـ وجدة، المغرب.

(٩) تاريخ المملكة العربية السعودية د. عبدالله العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤١٨هـ.

(١٠) تاريخ نجد (روضة الأفكار)، حسين ابن غنام، طبعة بدون.

(١١) تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، د. عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١: ١٤١٩هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١: ١٤١٩هـ.

(١٢) تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، د. محمد بن سعد الشويعر، مطابع الحميضي، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(١٣) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط:١٩٩٠م.

(١٤) تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت،لبنان، ١٤٠٨هـ.

(١٥) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، د. برهان غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا.

(١٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: د. وهبة الزحيلي، دار الخير، بيروت.

(١٧) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط:١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١٨) الحرب الكونية، د. السيد، ياسين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر.

(١٩) حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أركانه ومجالاته)،العمار، د.حمد بن ناصر، دار إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢٠) حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحقيقة دعوته، الحقيل، د. سليمان بن عبدالرحمن، مطابع الفرزدق التجارية،ط١: ١٤١٩هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية الحراني، أبو العباس تقي الدين، أحمد بن

عبدالحليم،دار الطباعة المنيرية، القاهرة.

(٢٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، دار الجيل، بيروت، لبنان.

(٢٣) الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)، د. أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصري،القاهرة، ط٢: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢٤) الدعوة الإصلاحية وأعلامها، عبدالله بن محمد المطوع، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط: ١٤٢٨هـ.

(٢٥) دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، محمد بن جميل زينو، دار ابن خزيمة، الطائف.

(٢٦) الدعوة ومبادئ الاتصال، د. عمر الطويبي، مجلة كلية الدعوة، ليبيا.

(٢٧) صحيح البخاري، الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

(٢٨) صفة الصفوة، ابن الجوزي، الإمام أبو الفرج بن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٠٩هـ، بيروت، لبنان.

(٢٩) علماء الدعوة، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، تحقيق: أحمد التويجري، دار الثلوثية للنشر، السعودية، الرياض، ط: ١٤٣١هـ.

(٣٠) علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبدالله البسام، طبع: دار العاصمة، ط:١٤١٩هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، عثمان بن عبدالله،تحقيق: د. محمد بن ناصر الشثري، ، دار الحبيب، المملكة العربية السعودية، الرياض ط: ٢،

١٤٢٩هـ.

(٣٢) العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة المسلمة، العبدالكريم، فؤاد ، مجلة البيان، عدد:٣٤ . لندن، بريطانيا.

(٣٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، ابن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة.

(٣٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

(٣٥) قوة الحجة ووضوحها: من مظاهر البلاغة القرآنية، العماري، د. علي محمد، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة:١٣، العد:٥٠، ٥١، ١٤٠١هـ.

(٣٦) كشف الشبهات، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ١٤١٣هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣٧) الكليات، الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

(٣٨) الحجة في الاستعمال القرآني (إبراهيم وقومه نموذجاً)، حمادي، إدريس، مجلة فكر ونقد، السنة الثالثة، العدد: ٢٨، أبريل ٢٠٠٠م.

(٣٩) المتغيرات الثقافية في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الحليبي، د. أحمد، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٤٠) محمد بن عبدالوهاب (مصلح مظلوم ومفترى عليه)، الندوي، مسعود، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١٤٠٤هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض

(٤١) مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت،

ط:١٩٨٦م.

(٤٢) المدخل إلى علم الدعوة، البيانوني، د. محمد أبو الفتح، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

(٤٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٤٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المكتبة العلمية، بيروت.

(٤٥) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط:١٤١٣هـ.

(٤٦) المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، لبنان، بيروت، ط:١٩٩٢م.

(٤٧) المنهج التربوي العالمي إبراهيم، مجدي عزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

(٤٨) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، طبع: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

(٤٩) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس: الرسائل الشخصية، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٥٠) هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان سراج الدين، عبدالله، مكتبة: دار الفلاح، سوريا، حلب.

(٥١) وفيات الأعيان، وأبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.